اليهـا حركـة «فتح» قبل العام ١٩٦٧. وهو التحول الذي وضع، فيما بعد، بذور الصدام الاول، والدامي، بين م.ت.ف. بقيادتها الجديدة، وبين الاردن.

وهكذا، بالقدر الذي كانت هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ هزيمة سياسية للرئيس المصري عبد النـاصر، وللاستراتيجية العربية ككل، فانها سمحت لحركة المقاومة الفلسطينية، وتحديداً للجناح الاكثر تصلباً بانتزاع حضوره على المسرح السياسي، منذ ذلك الحين، ووضع م.ت.ف. ودورها على الخارطة السياسية في المنطقة.

حرب تحرير شعبية أم جيوش متطورة ؟

لم يكن التغـير الذي حدث في العام ١٩٦٩ في رئاسة المنظمة، وبنيتها، مع تولي ياسر عرفات الزعامة خلفاً للشقيري، يقتصر، في دلالته، على جوانب الاختلاف والتباين في الظروف التي مهّدت لكليهما تولّي هذه المكانة. بل ان البون الشاسع في اختلاف البيئة السياسية التي جاء منها كل منهما، لم يكن مغزاه أقل، وهو ما اتضح أثره حين تمكّن زعيم المنظمة الجديد، بما يتصف به من براعة تكتيكية، وروح مجابهة، من نقل م.ت.ف. من كونها منظمة سياسية مغمورة، الى حركة سياسية ثورية كبرى، ذات سطوة، وهيبة، يحسب حسابها الجميع.

لقد تبوأ الشقيري منصبه كرئيس للمنظمة من خلال التزكية التي منحته اياها الدول العربية، ولا سيما التأييد الذي كان يحظى به من عبدالناصر. وفي الوقت الذي كان الشقيري يشارك في حضور اجتماعات القمم العربية، كواحد من الوجهاء العرب، كان عرفات لا يزال شخصية مغمورة، تحيطها الغموض، وجلّ ما يمكن معرفته عنه هو انه أحد قادة «فتح» البارزين التي تدعو الى الكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير فلسطين، وتحثّ الفلسطينيين على الاعتماد على أنفسهم، وترفض الوصاية على نضالهم[١٦]. وهكذا، فان مشهد التغيير الذي تم في رئاسة المنظمة، لم يكن يخلو من الاثارة. فقد كان الشقيري ينتمي الى جيل من النخبة السياسية العربية، واتاحت له صلاته العائلية وشبكة علاقاته العامة المجال لأن يكون واحداً من «أهل البيت» بالنسبة الى الطبقة السياسية العربية الحاكمة. ويدل تنقّل الشقيري، قبل ان يصبح رئيساً للمنظمة، على مقدار الثقة التي كان يحظى بها في الدول العربية. فهو عمل مندوباً للسعودية، ولسوريا، في الامم المتحدة، في فترات متقاربة، قبل ان يشغل منصب ممثل الشعب الفلسطيني في الجامعة العربية.

ولم تخف آثار الصدمة التي أثارها الانقلاب الجديد في قيادة م.ت.ف. الا بعد مرور وقت طويل. اذ كان مظهر الثياب العسكرية، والنخبة الجديدة على رأس المنظمة، يرسم للانظار صورة حية أخرى للموجة التحررية الرفضوية ـ اليسارية التي بدأت تضرب في انحاء متفرقة من العالم. ولكن هذا التباين بين مظهري الزعيمين لم يكن ليخلو من تضليل؛ اذ لم يكن عرفات ليقف على طرف نقيض من سلفه، أو يحمل أفكاراً ومعتقدات، تتعارض الى الحد الذي يرمز اليه استبدال القبعة العسكرية، والمسدس، بربطة العنق والقميص المنشى. لقد كان الخلاف في الظروف التي جابهها كلاهما؛ وقبل كل شيء في حجم الامكانات التي كان يملكها كل منهما، لممارسة مسؤوليته؛ حيث لم يكن الامر يتعلق بالاعتدال والتطرف؛ فكلاهما مارس، في تجربته، هذا التزاوج بين الاعتدال والتطرف، والمرونة والتصلب، وهو خيار كان غالباً بعيداً من الرغبة الشخصية في كل الاحوال، ونابعاً، أصلاً، من صعوبة وتعقيد القضية الفلسطينية ذاتها؛ وربما المغزى الاكثر تعبيراً عن الاختلاف فيما بينهما يكمن في ان الشقيري كان رئيسـاً لمنظمة فاقدة القدرة، والقوة؛ بينما كان مجيء عرفات بحد ذاته يرمز الى ان المنظمة باتت